أوفا ـ ملك انجلترا الانجلوساكسوني المسلم

د. مصطفى حسن محمد الكناني

يعتبر الملك أوفا Offa Rex ملك مرسيا Mercia الانجلوساكسوني من أعظم وأشهر شخصيات ملوك أوروبا وأكثرهم غموضا ، ليس على امتداد العصور الوسطى فحسب ، بل وحتى ساعتنا هذه أيضا .

فلقد استطاع أن يوحد الممالك الانجلوساكسونية لأول مرة في التاريخ تحت زعامة مرسيا على امتداد عصره الذى استمر قرابة تسعة وثلاثين عاما (757 ـ 796 م/140 ـ 180 هـ) ؛ وذلك بعد حروب طاحنة ، وجهود مضنية بذلها في شتى الميادين العسكرية والدبلوماسية ، ناهيك عن انجازاته ومشروعاته الاقتصادية والعمرانية ، وتشريعاته العادلة ، تلك التي حقق بها الامن والامان للشعب الانجليزى ، فاستحق بجدارة لقبى : « ملك انجلترا « Rex Anglorum » » ، « وملك كل بلاد الانجليز « Rex totius Anglorum Patriae » (1) ولعلنا نجد في أعماله الخالدة التي تناولت شتى المجالات الآنف ذكرها ، فضلا عما عرف عنه من تقوى وورع من جهة ، وتودد البابوية وشارلمان أعظم ملوك الافرنج له من جهة أخرى ، ما يؤكد عظم مكانته التي تخطت حدود بلاده الى أنحاء العالم المعروف آنذاك ، وتركه بصماته على مجريات الامور والاحداث في أنحاء أوروبا في أخريات عصره .

والغريب أن تاريخ الملك أوفا لم ينل حظه الوافى من الدراسة المتكاملة الجوانب ، اذ لم يدرس بعد حتى يومنا هذا دراسة علمية موضوعية مجردة ، بينما وردت الاشارة اليه عرضا بين ثنايا صفحات كتابات بعض المؤرخين المعنيين بتاريخ بريطانيا بعامة . والملاحظ أن أغلب مؤرخى انجلترا الانجلوساكسونية قد مروا على عصر أوفا مرور الكرام ، بينما أغفله آخرون اغفالا تاما ! هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، يلاحظ أن أوفا رغم عظم مكانته ، فان جميع وثائق عصره هو وحده دون بقية ملوك انجلترا قد اختفت تماما ! اذ أن كل ما وصلنا عنه لا يتعدى شذرات أو سطرا أو بعض سطر ، أو فصلا أو بعض فصل فى كتب المؤرخين المتخصصين أمثال سير فرانك ستنتون Sir Frank Stenton ودورثى وايتلوك Dorthy Whitelock ، وسيريل هارت Cyril Hart وغيرهم .

والاكثر غرابة أن المصادر المعاصرة أو المتأخرة عن عصره زمنيا لم تشر من قريب أو بعيد الى نهايته ، أو الى مكان دفنه . ولولا رواية وردت عرضا فى مصدر متأخر زمنيا (القرن 13 م/ 7 هـ) ما عرفنا شيئا عن مكان دفنه الذى ما زال مجهولا حتى ساعتنا هذه ، والذى تحدده الروايات كما هو متواتر ـ فى مصلى صغير داخل مبنى مجهول على حافة نهر اشتهر بفيضاناته المدمرة ! (2) . بينما المفروض أن يكون الدفن داخل كنيسة العاصمة الرئيسية ! مما يجعل المرء يتساءل عما اذا كان دفنه فى مثل هذا المكان متعمدا من أجل تدمير الفيضانات للمبنى وللمقبرة ، ومن ثم طمس آخر معالم تاريخه تماما ، وهذا ما تم بالفعل ! واضافة لما سبق ، يلاحظ أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتأخرة زمنيا ، ناهيك عن أغلب المراجع والموسوعات والمعاجم العلمية والتاريخية المتخصصة بصفة عامة ، لم تشر من

قريب أو بعيد الى أهم وأندر العملات في تاريخ أوروبا العصور الوسطى على وجه الاطلاق والتى كان الملك أوفـــا قـد سكها ، وأعنى بذلك الدينار الذهبى الذى ضرب بأوامر منه ولقد نقش عليـه اسـم أوفـــا باللغة اللاتينية مصحوبا بعبارات التوحيد الاسلامية (لا اله الا الله وحده لا شريك له ــ محمد رسول الله) ! مما أوقع المؤرخين فى حيرة ، فكان أن تعددت آراؤهم ، وتضاربت فى تفسير السبب الحقيقى الذى اضطر أوفا حياله لضرب هذا الدينـار .

هذا ، وسوف نتناول فى بحثنا هـــذا بالدراسة العلميـة التحليلية والموضوعية كافة الآراء التى قيلت بصدد تبرير سك أوفا لهذا الدينار . والذى أكدنا على ضوئه ، فضلا عن غيره من الدلائل أن الدينار كان محصلة طبيعية لاعتناقه الاسلام ؛ آملين أن نكون قد وضعنا حدا للحيرة التى أوقع المؤرخون المحدثون أنفسهـم فيها . فهم فى باطنهم مقتنعون أيما اقتناع بما وصلنا اليه بصدد اعتناق أوفـا للاسلام . والثابت حسبما أكـدت الوثائق أن أى باحث منصف مدقق لا يغيب عن خاطره أن هناك أسبابا قد حالت دون المؤرخين ، ولا زالت تحول دون اخراجهم هذه الحقيقة الى حيز النور وأعنى الخوف من ردود فعل البابوية والكنيسة المضادة لهـم اذا ما خرجوا الينا بمثل هذه الحقيقة التى فيها يمترون . ولعل ذلك يفسر أسباب تعدد آراء المؤرخين حول حقيقة أسباب ضرب هذا الدينار، ومن ثم، يمكننا القول بلا تحفظ بعدم تحلى هؤلاء المؤرخين بروح المؤرخ المحايد ، فضلا عن كشف نواياهم ، وحقدهم وكراهيتهم للاسلام والمسلمين .

هذا ، وقبل الخوض فى التفصيلات ، ينبغى العودة قليلا الى الوراء ؛ لنلقى نظرة عامة سريعة على مسرح الاحداث . فالمعروف أن بريطانيا قد تعرضت على امتداد الفترة الزمنية الممتدة من

منتصف القرن الرابع الميلادى حتى منتصف القـــرن السادس الميلادى لاول دفعة مـــن الغـــزاة الجرمان المشهورين باســـم الانجلوساكسون Anglo-Saxons أو الساكسون Saxons . وهم خليط من ثلاث مجموعات بشرية هى : الساكسون Saxon ، والانجليز Angls ، والجـوت Jutes . وكان هؤلاء قد غزوا معا الجزيـــرة البريطانية دون مقاومة تذكر من البريتون Britons سكانهـــا الاصليين ، والذين فروا الى الجبال والى الغابات الكثيفة بعـد فشلهم فى مقاومة الغزاة . وحيث استوطنـوا فى ويلـز Wales واتخذوها مستقرا لهم ومقاما (3) .

استقلت كل جماعة من الغزاة مكونين فيما بينهم سبـــع ممالك عرفت باسم الهيبتاركى Hiptarchy وهى : ويسكس Wessex وسسكس Sussex ، واسكس Essex ، وايست أنجليا East Anglia ، ومرسيا Mercia ، ونورثمبريا Northumbria ، وكنت Kent.

ولقد آلت الزعامة على تلك الممالك الى كنت فى بادىء الامر ثم انتقلت الى نورثمبريا وأخيرا سادت مرسيا . وفى عهد أعظم ملوكها أوفا Offa سيطرت مرسيا تماما على الممالك الآنفة الذكر بعد حرب ضروس خاضها أوفـا ، فاستحق لقبى ملـك انجلترا وملك كل بلاد الانجليز كما أسلفنا (4) .

مهما يكن من أمر ، فمن الثابت أن أوفا حسبما تؤكـــد الروايات التاريخية القليلة التى اعتصرناها من المصادر لم يكن رجل سياسة وحرب فحسب (5) بل كان منظما بارعا ورجل دولة فريد الطراز ، وأعماله فى هذا الصدد لا تقل أهمية وعظمة عن مثيلاتها السياسية والعسكرية . فلقد اهتم أوفا بالنظم الماليـة والاقتصادية والتشريعية ، وبذل جهودا جبارة لرفع مستـــوى الانجليز الثقافى والاجتماعى وكفالة الامن والامان لهم . وحماية

مكاسبهم السياسية والاقتصادية التى حصلوا عليها فى عصره ناهيك عن اهتمامه الفائق بالجيش والتشييد والعمران ممثلا فى سوره العظيم Offa's Dyke (6) .

ـ وهنا لابد من التوقف لحظة لمناقشة مدى أهمية وأسباب بناء هذا السور ، لما له من أهمية بصدد حقيقة موقف أوفا من الاسلام ، فمن الملاحظ أن البناء قد تم على امتداد حدود مرسيا مع ويلز وهو يعد من أعظم المشروعات الانشائية التى أقيمت فى أوروبا على امتداد العصور القديمة والوسطى .

وكما هى العادة بالنسبة لوثائق عصره التى ضاعت ! لم ترد أية اشارة تذكر عنه فى أى من المصادر المعاصرة ؛ ولولا اشارة عابرة وردت فى سياق كتابات الراهب الويلزى آسر Asser عن « سيرة الملك الفريد العظيم » « Life of King Alfred » ما عرفنا شيئا البتة عن هذا الانجاز العظيم (7) .

وجدير بالذكر أن المؤرخين قد تضاربت آراؤهم حول حقيقة الغرض من بناء السور ، فهناك رأى يقول بأن البناء تم « نتيجة اتفاق سياسى عقد بينه ومرسيا » ، الا أن الوصف التفصيلى للسور يؤكد أنه بنى من أجل منع القادمين من ويلز من دخول مرسيا ، ورأى آخر يقول ببناء السور « من أجل حماية مرسيا من أخطار اغارات الانعام أو الرعاع » (8) . وهذا رأى غريب ومرفوض جملة وتفصيلا ؛ اذ أن أى انسان متوسط الذكاء لا يمكنه قبول مثل هذا الرأى ، فهل يعقل أن ملكا مثل أوفا التى شهدت كافة المصادر والمراجع بكياسته وفطنته ، يقوم ببناء مثل هذا السور الذى كلفه أموالا طائلة ، لحماية بلاده من اغارات الانعام أو الرعاع ! ثم ما هى أخطار تلك الانعام أو هؤلاء الرعاع ؟ هل الاجهاز على الحشائش الخضراء أو

نهبها وسلبها ؟ ! وهل هى أنعام عسكرية مسلحة تقودها جماعات من الرعاع الرجالة والفرسان أرعبت هجماتها أوفا فكان أن أقام هذا السور درءا لاخطارها ! ؟ ! ان أى باحث منصف ومدقق لابد أن يرفض مثل هذا الرأى شكلا وموضوعا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فهناك احتمال قائم ، ألا وهو أن البناء قد تم من أجل منع وتعويق مندوبى البابوية وأهالى ويلز المؤيدين لها من دخول مرسيا لاثارة النفوس ضد الملك أوفا ؛ أملا فى التخلص منه ومن معتقده الجديد المهدد للكنيسة والعقيدة الكاثوليكية والذى أصابها فى مقتل حسبما أكدت المصادر .

هذا واذا عرجنا على انجازات أوفا فى المجال الاقتصادى ، نجد أنه قد قام باصلاح وعمل هام زاد من حيرة المؤرخين وتعددت آراؤهم فى تبريره حتى ساعتنا هذه وأعنى بذلك التغييرات التى أحدثها أوفا في العملات الانجلوساكسونية بعامة،والدينار الذهبى ذى عبارات التوحيد الاسلامية الذى ضربه بصفة خاصة.وهنا لابد من وقفة لمناقشة تلك الآراء لبيان مدى صحتها ، بغية الوصول الى تفسير منطقى لسبب ضرب أوفا دينارة هـــذا مـــن جهـــة ، والتعديلات التى استحدثها فى العملات الانجلوساكسونية مـــن جهة أخرى .

الثابت أن أوفا بعد سيطرته على الممالك الانجلوساكسونية قد أصدر أوامره الصريحة بوقف استخدام كافة العملات السائدة فيما سبق عصره : واحلال أخرى محلها امتازت بزيادة الوزن ، وكانت تحمل اسمه في غالبيتها ، وحمل بعضها اسم الضارب (9).

هذا ، ولقد تنوعت عملات أوفا من حيث الشكل والحجم ، والملاحظ أن عملات بداية عصره قد حملت صورته على أحـــد وجهيها ، بينما حمل الوجه الآخر شارة الصليب المسيحية ، أما

عملات أواخر عصره فيلاحظ أن الصليب قد تلاشى تماما من نقوشها ! ثم اتبع ذلك بعمل آخر له مغزاه ودلالاته الهامة مع سابقه اذ حذف صورته من نقوش العملة (10) .

واذا علمنا أن الاسلام يحرم الصور المجسمة ، ناهيك عن شارة الصليب ، لتأكد لدينا بما لا يدع مجالا لبادرة شك أن أوفا قد خطا خطوات وئيدة نحو الاسلام ، توجها باصدار دينـــاره الذهبى ذى عبارات التوحيد الاسلامية .

وهنا ثمة سؤال يطرح نفسه علينا ملحا فى طلب الاجابة ، ألا وهو : هل اعتنق أوفا الاسلام فكان ضرب هذا الدينار محصلة طبيعية له ؟

بادىء ذى بدء ينبغى الاشارة الى أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتأخرة زمنيا لم تشر من قريب أو بعيد الى هـــذا الدينار ، ناهيك عن اهمال كافة دوائر المعارف العالمية والمعاجم والمراجع المتخصصة الاشارة اليه رغم أن غالبيتها قد أشارت الى عملات الفترة المبكرة من عصره فقط ، دون الاشارة الى التعديلات التى ادخلها على العملة بحذفه شارة الصليب وصورته كما أسلفنا اضافة لما سبق ، يلاحظ أن المؤرخين المحدثين المعنيين بالمسكوكات رغم امكانية تفهمهم معانى نقوش عبارات التوحيد الاسلاميـة بطريقة أو بأخرى قد تناسوا الاشارة اليها أو الى دلالاتها الهامة! باستثناء القليل منهم الذين مروا عليها مرور الكرام دون تعليق يذكر ، رغم تفهم بعضهم ، بل واجادته اللغة العربية الفصحى قراءة وكتابة (11) مما يجعل المرء يتساءل عما اذا كان هـــذا العمل متعمدا لطمس حقيقة سبب سك هذا الدينار (12) .

هذا، ومن الاهمية بمكان الاشارة الى أن الشواهد والمصادر التاريخية تؤكد اعتناق أوفا للاسلام ، ومن ثم كان ضرب الدينار

المعنى محصلة طبيعية له : فكان أن جن جنون البابوية ورجال الكنيسة الذين خططوا مع شارلمان للتخلص من أوفا لقيامه بأعمال «معادية للكنيسة، هددت سلطانها بالخطر المباشر وأنذرت باخراجه من انجلترا كلها » (13) . يؤيد ذلك الرأى ارسال البابا أدريان الاول Adrian I (750 – 796م) بعثة عام 786 م ، المشهورة برئاسة كل من « جورج اسقف أوستيا George Bishop of Ostia وثيوفلاكت أسقف تودى Theophylact Bishop of Todi وتصحبه مجموعة أخرى من كبار رجال الكنيسة » وذلك من أجل اعادة تجديد وتثبيت الايمان والسلام اللذين دعا اليهما القديس أوجسطين St. Augstin عام 597 م ، من قبل (14) وبمناقشة تلك العبارة الخطيرة الفحوى يلاحظ أنها لا تؤكد ما وصلنا اليه بصدد اعتناق أوفا الاسلام فحسب ، بل تؤكد محاولته نشره فى انجلترا ، وارتداد الكثيرين عن المسيحية أيضا . فكان أن حدثت هزة عنيفة أصابت العقيدة الكاثوليكية بضرر بالغ ، تمثل فى تدمير جهود أوجسطين السابقة لكثلكة انجلترا ؛ وكانت المحصلة ارسال البعثة السابقة الذكر من جهة وتخطيطها للتخلص من أوفا من جهة أخرى (15) . ومن ثم نجد تعليلا منطقيا يفسر أسباب اختفاء كافة وثائق عصر الملك أوفا دون غيره من ملوك انجلترا ودور البابوية فى هذا الصدد ، من أجل طمس معالم تاريخه الحقيقية وجعله نسيا منسيا من جهة ثالثة .

وهنا لابد من التوقف برهة ، لمناقشة كافة الآراء التى قيلت حول تبرير سك دينار أوفا المشهور هذا والتأكد من مدى صحتها وعدمه ، واضعين نصب أعيننا الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة ، والمنزهة عن أى غرض آخر .

لقد تعددت الآراء واختلفت فى تبرير اقدام أوفا على سك هذا الدينار فلقد عزاه البعض الى رغبته فى « دفع الضريبة

أو المنحة المقررة عليه سنويا للكنيسة الرومانية . والمعروفة باسم بنس بطرس «Peter's Pence» (16) . ورأى آخر يعزى السك الى « حالة نفسية انتابت أوفا دفعته لضرب الدينار ، اشباعا لها وتحقيقا لرغبة جامحة سيطرت عليه ودفعته لذلك تشبها بالدينار الاسلامى ذى المكانة العالمية في عالم تجارة العصور الوسطى » ، وعلل سبب النقش لرغبته فى « الظهور والشهرة والتفاخر بين أقرانه من الملوك المعاصرين ، بمقدرته على سك مثل هذا الدينار المشهور باسم المنقوش Mancus ، من أجل تقديمه للبابوية وفاء للمنحة المقررة عليه سنويا » ؛ مما يتفق والرأى الآنف الذكر عاليه . وفريق ثالث يرى أن الدينار « قد زور وأقحم عليه اسم أوفا اقحاما » دون توضيح أسباب الاخذ بتلك الآراء أو تعليلها (17) .

ـ وبالتمعن فى الرأى الاخير القائل بالتزوير نجد أنه مرفوض تماما ، بدليل ما تضمنته عبارات الدينار من أخطاء تؤكد جهل ضاربه باللغة العربية ، ومن ثم يتأكد لنا أنه قد ضرب فى دور السك الخاصة بالملك أوفا فى انجلترا (18) . وبالمثل يرفض الرأى القائل بأن الضرب تم « اشباعا لحالة نفسية انتابت أوفا ... » خاصة وأن أصحاب هذا الرأى قد دللوا على صحته بالقول « بجهل الملك أوفا ومستشارية بمعانى عبارات التوحيد الاسلامية عندما قدموه الى البابا وفاء للضريبة أو المنحة المقررة عليه سنويا » (19) . واذا افترضنا صحة رأى ج. آلان J. Allan هذا ، وقلنا بجهل أوفا بمضمون العبارات الاسلامية ، فأين كان كبار رجال الكنيسة الانجليزية ، وماذا كانت ردود فعلهم تجاه عملية تداول تلك الدنانير الاسلامية العبارات الخطيرة الفحوى والمضمون ؟ ! .

هذا واذا علمنا أن البابوية ورجال الكنيسة كانـــوا فى شقاق دائم مع أوفا وطالما تربصوا به الدوائر ؛ لذا ، لا يمكن القول بقبولهم مثل هذه العملة وفاء للمنحة المقررة سنويا عـلى أوفا ، وصمتهم حتى يتم تداولها كما قيل ! وآية ذلـك الرأى عبارة ذكرها المؤرخ المشهور س. أ. بلنت S.A. Blunt اذ قال : « ... ولكننا اذا أخذنا بالرأى القائل بجهل الملك أوفا بحقيقة مضمون نقوش عبارات التوحيد الاسلامية على الدينار ، فالحال ها هنا يختلف كلية بالنسبة لكبار المسؤولين من رجال الكنيسة والعلمانيين الموجودين فى شتى الادارات الدينية والمدنية . اذ ينتفى كلية القول بجهلهم وعدم تفهمهم هم أيضا لمضمون تلك العبارات وفحواها الخطير (20) . هذا من جهة . ومن جهة أخرى انتقد بلنت رأيه الآنف الذكر ، وخرج علينا برأى جديد، قال : « ... الثابت أن الدنانير العربية قد سادت عرش التجارة العالمية غربى البحر المتوسط ، ولعدم وجود دليل واضح يحسم حقيقة أمر هدف أوفا من ضرب هذا الدينار ؛ فمن الافضل الاخذ بالرأى القائـل بأن الضرب كان مـن أجـل التعامل بـه فى التجـارة الخارجية (21) . ان رأى بلنت هذا مرفوض كلية أيضا ، فالثابت أن التجارة العالمية كان يسودها الدينار الاسلامى الذى عرفـه الغربيون باسم المنقوش ، بسبب نقاء عياره وزيادة وزنه عـن الدنانير اللاتينية المقلدة له .

اذ أن التجار المسلمين والايطاليين عـلى حـــد ســواء قـــد رفضوا التعامل بغير الدنانير الاسلامية الاصلية المضمونة الوزن والعيار فى التجارة الخارجية ، لذا ، لم يكن هناك ثمة داع لتعامل التجار الانجلوساكسون بغيرها هم أيضا ، ومن ثم ينتفى الاخذ برأى بلنت وغيره فى هذا الشأن . وآية ذلك ما ذكره موريس لومبار فى سياق حديثه عن أهمية الدنانير الاسلامية الاصلية ،

اذ أوضح تفضيل التجار الانجليز وغيرهم من الافرنج التعامل بها مع المسلمين دون المقلدة اذ قال : « ... ان السكة المقلدة لم تكن على نطاق واسع ، لان الذهب القادم من البلاد الاسلامية الى غربى أوروبا كان فى صورة نقود مسكوكة (أى دنانير اسلامية أصلية) ، فاستخدمته أوروبا البربرية كما هو ، واستخدمته فى دفع ثمن الواردات من الاسواق الخارجية سواء أكانت الاسواق الاسلامية أو أسواق روسيا (امارة كييف) أو أسواق البندقية وبيزنطة » (22) .

أضف الى ذلك دليلا آخر وأعنى ما أكدته المصادر والمراجع عن قوة التواجد التجارى الاسلامى فى أغلب دول أوروبا بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية فى العصور الوسطى ، منذ نهاية القرن السابع الميلادى (الاول الهجرى) . بدليل اكتشاف العديد من العملات الاسلامية هناك ، فضلا عن تأكيد الحفريات الاثرية هيمنة الدينار الاسلامى المعروف بالمنقوش على عرش التجارة العالمية فى غربى أوروبا على حساب الصولدى Soldus الذهبى الذى توقف استخدامه فى أوروبا الغربية بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية منذ بداية النصف الثانى للقرن الثامن الميلادى (النصف الثانى للقرن الثانى الهجرى) (23) ؛ مما يؤكد عظم وقوة أثر التواجد الاسلامى التجارى فى أوروبا الغربية بعامة، وانجلترا ابان عصر الملك أوفا بخاصة من جهة ، ومن جهة أخرى يتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه بصدد رأى بلنت وغيره القائل بأن أوفا سك دیناره الذهبى هذا من أجل تنشيط التجارة العالمية . ومن جهة ثالثة لعلنا نجد فى عبارة أخرى ذكرها بلنت نفسه ما يدحض رأيه ويؤكد ما وصلنا اليه وذكرناه آنفا . اذ قال : « لقد رجحت هذا الرأى لعدم وجود دليل واضح يحسم أمر حقيقة سك هذا الدينار » والغريب أن بلنت عاد وناقض رأيه

بآخر مردود أيضا حيث قال : «... الا أن احتمال القول بأن الملك أوفا قد ضرب هذا الدينار لاغراض دعائية خاصة يجب أن ينظر اليه بعير الاعتبار » (24) ؛ دون ذكر مفهوم عبارة « لاغراض دعائية خاصة » فالمعروف أن أوفا قد وصل الى مكانة مرموقة اعترف بها الاعداء قبل الاصدقاء ، وعلى رأسهم البابا وشارلمان حيث عامله الاخير معاملة الند للند من ناحية (25) ؛ ناهيك عن أمجاده ، وشهرته التى جابت آفاق أوروبا جمعاء كرجل حرب وسياسة ومصلح اجتماعى لا يطاول . ومن ثم فليس هناك ثمة داع يدفعه للدعاية لنفسه ؛ الا اذا كان بلنت يقصد (دون أن يفصح عن حقيقة ما يجيش فى صدره) الدعاية من أجل اعلان حقيقة اعتناق أوفا الاسلام جهارا نهارا ، فهنا يمكننا الاخذ برأى بلنت ، ومن ثم اضافة جديد يؤكد صحة ما وصلنا اليه بشأن اعتناق أوفا الاسلام من جهة ، وكشف مدى حقد الكنيسة الرومانية على أوفا وكراهيتها له من جهة أخرى .

وهنا نعود ونتساءل ، اذا صح القول باعتناق أوفا للاسلام فكيف وصلت الدعوة الى مسامعه ؟

قبل الاجابة ينبغى الاشارة الى أن الاكتشافات الاثرية والمصادر المعاصرة قد أكدت عمق جذور العلاقات التجارية بين الشرق الادنى الاسلامى والقارة الاوروبية بعامة ، وشمال أوروبا وانجلترا بصفة خاصة ، ليس منذ نهاية القرن السابع الميلادى فحسب ، بل كانت أعمق جذورا من تلك الفترة كذلك . فلقد أكدت المصادر قوة علاقات بريطانيا الرومانية التجارية بالشرق، واستورد البريطانيون دهان البلسم والقرفة والزنجبيل والعطور والبخور من مصر وبلاد الشرق على اتساعها (26) . وبالقطع لابد أن تلك العلاقات قد ازدادت قوة ونموا بعد ظهور

الاسلام وانتشاره فى المشرق والمغرب من ناحية ، وبعد قدوم الانجلوساكسون الى بريطانيا واقامة ممالكهم المذكورة آنفا بعامة وفى عصر الملك أوفا بصفة خاصة حسبما أكدت المصادر واكدناه من قبل من ناحية أخرى .

فالثابت أن تلك العلاقات قد انتعشت وقويت فيما بين انجلترا والخلافة العباسية فى عصر أوفا ؛ ولابد أنه كانت هناك ثمة سفارات تجارية ودبلوماسية متبادلة بين الجانبين تبعها كثافة تواجد التجار المسلمين فى انجلترا ، لادارة شؤونهم التجارية وتصفية حساباتهم ، حاملين معهم كافة أنواع السلع والبضائع الشرقية وعودتهم أدراجهم الى بلادهم محملين بشتى الانواع المماثلة الانجليزية والاوروبية .

والثابت أن أوفا قد ترسم خطا شارلمان ملك الافرنج فى توطيد وتقوية علاقاته التجارية بالمسلمين ، خاصة وأنه كان ينافس شارلمان كند قوى له (27) فلقد أكدت المصادر قوة روابط الاخير بهارون الرشيد وتبادلهما الهدايا فيما بينهما (28) . ويؤيد ذلك الرأى ما ذكره المؤرخ الانجليزى المشهور سير فرانك ستنتون فى سياق حديثه عن سمات دينار أوفا الذهبى العباسى الطراز ، حيث قال بأنها « تؤكد قوة وجود علاقات تجارية وطيدة فيما بين انجلترا والخلافة العباسية فى عهد الملك أوفا (29) ومن ثم لابد أن العلاقات كانت من القوة بحيث أدت الى تبادل السفارات والمبعوثين التجاريين فيما بين الجانبين من جانب ، ناهيك عن حتمية عقد اتفاقات تجارية فيما بينهما ، على نمط تلك التى عقدها أوفا مع شارلمان من جانب آخر (30) .

هذا ولما كان التجار المسلمون ليسوا مجرد تجار فحسب بل كانوا دعاة اسلاميين فى نفس الوقت وعلى علم تام بكافة الامور

الفقهية وأصول الدعوة والشريعة الاسلامية كـكل ، فضلا عما اتسموا به من حسن خلق وسلوك قويم واستقامة وأمانة. لذا كانوا بحق خير مثال يمثل المسلم القدوة فأعطوا المجتمعات التى تاجروا معها صورا مشرقة عن الاسلام والمسلمين وسماحتهم ودعوها الى عبـادة الواحد الاحـد الفـرد الصمد من منطلق ايمانهم بعالمية الدعوة الاسلامية ، وتيقنهم بـأن هداية الناس الى الحـق فرض عين على كل مسلم القيام به كلما استطاع الى ذلك سبيلا ، أملا فى حصولهم على ما هـو « خـير ... من حمر النعم » (31) واضعين نصب أعينهم قول الحق جل وعلا لرسوله الكريم بسم الله الرحمن الرحيـم : « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكـن أكثـر الناس لا يعلمون** » (سبأ ـ 28) . وقوله جلـت قدرتـه ، بسم اللـه الرحمن الرحيم : « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيـرا ، وداعيـا الى اللـه باذنـه وسراجا منـيرا** » (الاحزاب 45 ـ 46) مـن جهة أخرى . وآيـة ذلك الرأى انتشار الاسلام بفضل جهود هؤلاء التجار الدعاة فى بلدان وجزر جنوب شرق آسيا والمحيط الهندى فضلا عـن بلاد شرق وغرب ووسط افريقية أيضا .

من هذا المنطلق ، ليس ثمة ما يمنع من وجود نـوع مـن الاتصالات المباشرة بين بعض من كبار هؤلاء التجار المسلمين وبين أوفا ، ناقشوا خلالها معه مفهوم عبارات التوحيد الاسلاميـة المنقوشة على الدينار العباسى بعد أن بهرته نقوشها، فكان أن أوضح هؤلاء التجار الدعاة معانيها لـه مع عرضهم عليه فكرة اعتناقه الاسلام ومناقشتهم اياه فى كافة الامور المتعلقة بطبيعة المسيح عيسى بن مريم رضى اللـه عنها ، مترسمين خطى جعفر بن أبى طالب رضى اللـه عنه مع النجاشى مـلك الحبشة ، ونجاحه فى اقناعه باعتناق الاسلام (32) فكان أن اقتنع الملك أوفا بالاسلام ،

فأسلم وجهه لفاطر السموات والارض . ولعله آمن به وحده أو مع أسرته وكبار معاونيه فى بداية الامر مع كتمه الامر سرا الى حين اصداره أوامره بسك تلك العملة الذهبية والتى احتار المؤرخون الحديثون فى تفسير أسباب سكها . هذا ، ومن الممكن القول باحتمال أن بعض أفراد السفارات المتبادلة فيما بين الخلافة العباسية وبين الملك أوفا قد عرضوا عليه فكرة اعتناقه الاسلام، فآمن بعد اقتناع ومن ثم كان نقش اسمه مع عبارات التوحيد الاسلامية (لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله) على دينار هذا من جهة ، فضلا عن قراراته برفع شارة الصليب وصورته من نقوش عملاته ، من جهة أخرى محصلة طبيعية لاقتناعه هذا .

مهما يكن من أمر ، وسواء صح هذا الترجيح أم ذاك ، يمكننا هاهنا الاخذ بالرأى القائل بأن أوفا أصدر دينار هذا « اشباعا لحالة نفسية انتابته وتحقيقا لرغبة جامحة سيطرت عليه . ولعل صاحب هذا الرأى قد اقتنع فى قرارة نفسه باعتناق أوفا الاسلام . الا أن ضغوط الكنيسة والتعصب الاعمى ضد الاسلام جعله لا يلتزم بالحيدة الواجب توافرها فى المؤرخ المنصف . مما حال بينه وبين البوح بمكنون صدره .

وأخيرا ثمة ملاحظة هامة ينبغى الاشارة اليها اذ أن من الغريب والملاحظ أن كافة المصادر والوثائق لم تشر من قريب أو بعيد الى كيفية أو أسباب موت الملك أوفا المفاجىء وهو فى قمة مجده ونفوذه يوم الجمعة 29 يوليو 796 م/17 جماد أول 180 هـ، اذ اكتفت الحوليات الانجلوساكسونية بالاشارة فى عبارة مقتضبة الى « موت أوفا فجأة فى عام 796 م » (33) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يلاحظ أنه دون غيره من الملوك الانجليز قد أهملت كافة المصادر والوثائق الاشارة الى مكان دفنه والذى كان من المفروض أن يكون ـ ان لم يكن اعتنق الاسلام بالفعل ـ داخل كاتدرائية أو كنيسة العاصمة الكبرى ولكن الغريب وحسبما ذكرت المصادر المتأخرة زمنيا أن الملك أوفا عندما توفى تم نقله الى بلدة صغيرة حيث دفن فى مصلى صغير داخل مبنى متداع ، على حافة نهر مشهور بتياراته وفيضاناته الجارفة كما لو كان الذين دفنوه قد خططوا واختاروا هذا المكان عن عمد ، على أمل أن تجرف الفيضانات المبنى بمن فيه فيزول كل أثر للملك، حتى يصبح نسيا منسيا، وهذا ما تم بالفعل. ومن ثم يتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق أوفا الاسلام كما أسلفنا .

فلقد أشارت المصادر (34) الى أن الروايات المتواترة على ألسنة الاهالى ، نقلا عن أجدادهم وأسلافهم المعاصرين للملك أوفا تفيد أنه قد مات «عام 79ﻫ في بلدة Offley (35) ثم نقل جسده الى بلدة بيدفورد Bedford الصغيرة (36) حيث قبر فى داخل مصلى صغير كائن بمبنى مجهول يقع خارج البلدة على الحافة المباشرة لنهر الاوسك «the Urk» (37) .

وهكذا أفادت وأكدت الرواية الغامضة دفن الملك أوفا بهذه الطريقة المشبوهة فى مثل تلك البلدة الصغيرة ، داخل هـذا المكان المجهول ، وليس داخل الكنيسة الكبرى بالعاصمة مما يرجح اعتناقه للاسلام . فكانت المحصلة محاربته واثارة النفوس ضده للخلاص منه فى الدنيا ، ثم دفنه بعد وفاته بهذه الطريقة المشينة ، انتقاما منه حتى يزول هو وعقيدته الجديدة فتنساه الاجيال المتعاقبة على مر السنين ؛ خشية أن يكون مثالا يحتذى ،

فيكون الدمار للكنيسة الانجليزية هو المحصلة الوحيدة لذكرى هذا الرجل العظيم .

مهما يكن من أمر ، وعلى ضوء ما سبق ، لعلنا نكون قد أكدنا ما وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ومن ثم قيامه بالمحاولة الاولى من نوعها فى تاريخ أوروبا الوسيط باعلان الاسلام دينا رسميا له ولشعبه . وقد يقول البعض أن الدينار ليس حجة تؤكد اعلانه الاسلام دينا جديدا له ولاسرته وكبار رجاله ان لم يكن له ولاسرته ولشعبه ككل . على أساس أن هناك سوابق عديدة قلد فيها الامراء الصليبيون ، وغيرهم من ملوك أوروبا الغربية الدنانير الاسلامية الا أن هذا الرأى سبق وأكدنا عدم صحته ، عند مناقشة الرأى القائل بأن أوفا قد سك عملته تلك لتقديم المنحة السنوية المقررة عليه تجاه الكنيسة الرومانية. هذا ، وسواء أكان اعتناق أوفا الاسلام محصلة طبيعية لرغبة ذاتية جامحة أو حالة نفسية هيمنت عليه دفعته لاعتناقه بجهود التجار الدعاة المسلمين الذين قدموا للتجارة فى بريطانيا من جهة ، أو كان نتيجة جهود أعضاء السفارات والبعثات الرسمية السياسية والتجارية ، المتبادلة فيما بينه وبين الخلافة العباسية من جهة أخرى ، فمما لا شك فيه أن الدينار الاسلامى الذى ضربه أوفا ، يعتبر فى حد ذاته دليلا يؤكد صحة ما وصلنا اليه فى هذا الصدد . اذ انه يعتبر وثيقة هامة لها ثقلها فى تأكيد تبريرنا لاسباب اصداره على ضوء المعلومات القليلة النادرة التى ذكرتها المصادر والمراجع وجهوده وانجازاته المتعددة فى شتى الميادين . ولعلنا نجد فى اختلاف المؤرخين فى تبرير ضرب هذا الدينار ، ناهيك عن اختفاء كافة مصادر تاريخ عصره ، وكراهية البابوية الرومانية له ما يؤكد صحة ما وصلنا اليه فى هذا الشأن أيضا ويضيف اليه جديدا . اذ أن حيرة المؤرخين، وتناقض آرائهم

يؤكد أنهم رغم عدم قولهم صراحة باعتناق أوفا الاسلام ، يؤمنون فى قرارة أنفسهم بامكانية صحة هذا الاحتمال لدرجة كبيرة .

وجدير بالذكر أن المؤرخ الانجليزى المشهور سير فرانك ستنتون قد لخص قدرات أوفا ، وأبرز مكانته فى التاريخ فى عبارة جامعة مانعة اذ قال : « ... ان أى ملك أنجلوساكسونى آخر لم يكن فى مقدوره أن ينظر الى العالم على مدى اتساعه ، بمثل نظرة الملك أوفا البعيدة المدى تلك ، أو بمثل الوعى والحس السياسى المرهف الذى تفرد به دون غيره » من أقرانه الملوك(38)؛ فاليه يعزى فضل وضع مقومات نظم وحضارة انجلترا ونهضتها التجارية في العصور الوسطى تلك النظم التى تفاعلت مع مثيلاتها الخاصة بالغزاة الدانيين الشماليين ، والنورمانديين ، فيما بعد عصره .

ومنذ ذلك الحين فصاعدا بدأت انطلاقة انجلترا من عزلتها القديمة وخرجت سفنها التجارية تشق عباب المحيط شرقا وغربا حاملة معها تلك المقومات الحضارية فى صورة دساتير ونظم وعلوم وثقافة الى القارة الاوروبية على اتساعها(39). وباختصار، أصبحت انجلترا بفضل جهود أوفا مدرسة أوروبا فى بداية العصور الوسطى ، تلقنها شتى المعارف والعلوم بعد أن كانت تلميذا متأخرا دراسيا ، يحاول بالكاد أن يتعلم ألف باء الحضارة من قبل عصر هذا الملك العظيم ؛ والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

اللـوحـــة

الوجـــه

الظهـــر

دينار الملك أوفـا الذهبى

(بتصريح من المتحف البريطانى بلندن)

المختصرات الواردة فى الهوامش

A.A.E. = Academic American Encyclopedia

B.N.J. = British Numismatic Journal

C.E. = The Catholic Encyclopedia

C.E.D. = Councils & Ecclesiastical Documents

Cart. Sax. = Carttularium Saxonicum

Ch. E. = Chambers Encyclopedia

D.S. = The Penguin Dictionary of Saints

D.U. = Dictionnaire Universal d'Histoire et de Géographie

E.B. = Encyclopedia Britainnica

E.H.D. = English Historical Documents

E.H.R. = English Historical Review

Laud Chronicle (The) = The Anglo-Saxon Chronicle «Ms. E.», ed. G.N. Garmonsway

N.A.E. = New Age Encyclopedia

N.C. = Numismatic Chronicle

N.E.B. = The New Encyclopedia Britainnica

O.C.E.L. = Oxford Companion to English Literature

Parker Chronicle (The) = The Anglo-Saxon Chronicle «Ms. A.» ed. G.N. Garmonsway

P.E.P. = The Penguin Encyclopedia of places

Sh. Camb. Med. Hist. = The shorter Cambridge Medieval History

(1) Cart. Sax., N°ˢ 213, 214, 234, 257.

(2) Roger of Wendover, Flowers of History, trans. from the Latin by Giles, J.A., London, 1949, vol. I, p. 166-167 ; Metthew of Westminster, the Flowers of History, trans. form the original by C A. Yonge, London, 1938. 1 p. 382-383.

(3) قدم الانجلوساكسون من حول مناطق بحر الشمال (جوتلاند Jutland وبلاد الدنمرك ، والمنطقة الممتدة جنوبها بعامة ، وألمانيا بخاصة • ولقد أشارت الحوليات لتعرض بريطانيا لغزوات البكتيين Picts والسكوتلانديين Scots وهم الايرلنديون والسكوتلانديون سكان كالدونيـــا القديمـــة Caldonia (سكوتلاند) • حـدث ذلك فى أواخر النصف الاول للقـرن الخامس الميلادى عقب انسحاب الرومان (عام 442 م تقريبا) ؛ فلقد استدعى الطاغية فورتيجرن Vortigern ماك بريطانيا (445 ـ 485 م، تقريبا) الغزاة الساكسون لمساعدته ضد المذكورين آنفا • ونجح الساكسون فى دحرهم ، وكان جزاؤهم العديد من الهبات فى شكل أرض وعقارات • وسرعان ما تحول الحلفاء الى أعداء ، واجتاحوا الجزيرة وهزموا البريطانيين الذين اتجهوا الى الغرب حيث استقروا فى ويلز Wales ؛ ومنذ ذلك الحين فصاعدا عرفت بريطانيا باسم انجلتـــرا نسبة الى الانجلز احدى جماعات الساكسون الثلاث (الانجلز Angles ، والجوت Jutes والساكسون Saxons) • فى هذا الصدد وللمزيد انظر المصادر والمراجـع الآتيـة :

Bede, The History of the Englich Church and People, trans. by Leo Sherley, London 1968, p. 34, 38 F, 51-58, 92 F, 108 ; Bede, Ecclesiastical History of English Nations »

(4) هذا ، ومن الجدير بالذكر أنه عقب مصرع ايزلبالد ابن عم أوفا وملك مرسيا (716 ـ 757 م) نشبت الحرب الاهلية ، التى انتهت بانتصار أوفـا وتربعه على العرش بادئا أولى خطوات توحيد الامه الانجليزية ؛ ولقد نجـــح فى ذلك أيما نجاح • اذ استطاع بعد حروب خاضها فى المجال العسكـــرى والدبلوماسى أن يوحد الممالك الانجلوساكسونية فى اتحـاد كونفيدرالى تحت زعامة مرسيا (بدءا بمملكة كنت 785 م ؛ ـ ومن قبلها كانت سسكس قـــد اخضعها 772 م • وفى عام 788 م• ضم وسكس ، كذلك سيطر على ايسـت أنجليا ونورثمبريا عن طريق روابط المصاهرة ، ناهيك عن اسكس وبعض الممالك الاخرى الصغيرة مثل ليندسى التى أخضعها لسلطانه المباشر فى النصف الثانى من عصره) ؛ وبذلك وحد أوفا الامة الانجليزية لاول مرة فى التاريـخ • وبعده بدأ العد التنازلى لانهيار سيادة مرسيا على الانجلوساكسون ، حتى زالت تماما فى نهاية القرن التاسع الميلادى (نهاية الثالث هـ) بأن آلت الى الملـك الفريد العظيم (871 ـ 899 م) ملك وسكس • فى هذا الصدد وللمزيد عن جهود أوفا لبناء صرح وحدة الامة الانجليزية انظر :

The Laud Chronicle, p. 52 ff. ; The Parker Chronicle, p. 54 f. ; Roger of Wendover, I, p. 156 ff. ; Mathiew of Westiminister, I, p. 379 ff. ; Roger de Hoveden, I, p. 29 and n. 21 ; cf. also : Stenton, Sir F., Anglo-Saxon England, 3 rd. Ed., London, 1984, p. 254 F., 205 F., 219 f, and the notes.

(5) أكد ألكوين في رسالة الى أوفا اهتمام الاخير بالثقافة والتعليم ، وشكره على جهوده تلك ولقد علقت د. دورثي وايتلوك على جهود أوفا ونشاطه التعليمي والعمراني ، وأشادت بها . وللاسف وبسبب ضياع وثائق عصره لم نعرف عنها الكثير . انظر :

Letter of Alcuin to OFFA, King of Mercia (787 - 796) cf. E.H.D., Doc 195, p. 22 & the notes.

(6) يلاحظ أن الراهب آسر Asser ، رغم مكانته العلمية والدينية ، قد تناسى الاشارة الى أسباب بناء السور ؛ ولعل السبب أوامر البابوية الصارمة بعدم الاشارة من قريب أو بعيد لانجازات الملك أوفا ؛ مما يؤكد ما وصلنا اليه حول أسباب البناء الحقيقية والتي سنذكرها في حينها . انظر :

Asser, Life of King Alfred, ed. W.H., Stevenson, Oxford 1904, 14, p. 12 ; Roger de Hoveden, 1, p. 19 & n. 64 ; cf. also : Sh, Camb. Med. Hist ; 1, p. 387.

هذا ويمتد السور من شرقي نهر واي Wye جنوبا بالقرب من قنطرة سولرز Sollers متجها شمالا عبر مناطق جبلية حتى ينتهي به المطاف بالقرب من باسنجورك Basingwork على نهر دي Dee ؛ مكونا ما يشبه السد المنيع فيما بين حدود ويلز ومرسيا « من البحر الى البحر » ويبلغ طوله 247 كيلومترا تقريبا ؛ ولقد كشفت الحفريات عن مائة وتسعة وعشرين كيلومترا منه . وهو عبارة عن خندق عظيم عمقه ستة أقدام يطل على ويلز ، وأعلاه من جهة الشرق (أي من جهة مرسيا) سور عظيم ارتفاعه خمسه وعشرون قدما . ومن ثم فان من يريد عبوره من ويلز عليه أن يتخطى ستة وخمسين قدما (تمثل عمق الخندق وارتفاع السور من كلا الجانبين) ، انظر :

Wormald, op. cit., p. 120 - 121 ; Stenton, op, cit., p. 212 - 215 ; A.A., p. 353, O.C.L., p. 65. Cf. also : Moinddin, M., « Did OFFA Accpet the Faith of Islam », ed. Ta Ha Publishers, London (N.D.) p. 2.

(7) انظر أبعاد السور التفصيلية في حاشية رقم (6) .

(8) Sh. Camb. Med. Hist. 1, p. 180.

(9) Blunt, C.S., « The Coinage of Offa », cf. « Anglo-Saxon Coins ed. R.H.M. Dolly, London 1961, p. 49 - 50 ; Stenton, op. cit. p. 222 & n. 3 ; Hobson, B., Coins & Coin Collecting, London, 1965 ; p. 35 ; Kent, J., 2000 Years of British Coins & Medals, British Museum Publication, London 1978, p. 15.

(10) Hobson, op. cit., loc. cit.

(11) جدير بالذكر أن المؤرخ المشهور عزيز سوريال عطية في سياق حديثه عن تاريخ العلاقات التجارية بين المسلمين وأوروبا العصور الوسطى ، قد أشار الى دينار الملك أوفا دون ذكر أي شيء عن مفهوم عبارات التوحيد الاسلامية أو حتى الى العبارة ذاتها! مما يؤكد تعمده اهمال الاشارة اليها كلية من جهة، واذا علمنا أنه مصري مسيحي ويجيد اللغة العربية الفصحى من جهة أخرى ، لتأكد لنا على الفور صحة ما وصلنا اليه بشأن أسباب سك هذا الدينار كمحصلة طبيعية لاعتناق أوفا الاسلام . الا أن المؤرخ لاسباب لا تغيب عن فطنة الباحثين قد تناسى العبارات كلية . واذا غلمنا عن ذات المؤرخ أنه يعمل في احدى الجامعات الامريكية ، كأستاذ للتاريخ والحضارة الاسلامية ! وله كتابات عديدة عن الحروب الصليبية ، وممن عرفوا بحقدهم وكراهيتهم للاسلام والمسلمين

ويعد من مشاهير المستشرقين ، فلا شك أن عدم اشارته هذه في حد ذاتهـــا تضيف جديدا يؤكد ما وصلنا اليه بصدد اعتناق أوفا الاسلام ، انظر :
Atiya A.S., Crusade, Commerce & Culture, N.Y., 1966, p. 169.

انظر أيضا : مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ط 2 ، بيروت 1399 ـ 1979 م ، ص 22 ٠

(12) انظر دوائر المعارف والمراجع الآتية :

Atiya, op, cit. loc. cit. ; Kent, op. cit., p. 15 & plate 15 ; Hobson, op. cit., p. 35 ; D.U. p. 1382 ; E.B., vol. VI, p. 800 ; N.A.E., vol. VI, p. 453 ; A.A.E., vol. XIV, p. 35 ; O.C.E.L., p. 562 ; N.E.B., vol. VIII, p. 488 ; C.E., vol. XI, p. 215 ; C b.E. vol. X, p. 194.

(13) Stenton, op. cit., p. 215.

(14) عن هذه البعثة ، وسوء أحوال انجلترا ، وارتداد العديدين عـــن المسيحية آنذاك ، انظر :

The Laud Chronicle, p. 52-54 ; The Parker Chronicle, p. 55 ; Roger of Wendover, op. cit., I, p. 156 ; Roger de Hoveden, I, p. 29 & n. 21.

(15) أكدت المصادر والمراجع اتفاق البابا مع ايثلبرهت ملك ايست أنجليا فضلا عن البريطانيين فى ويلز ؛ للتخلص من أوفا ، لكن شاءت الاقدار أن يدحر أوفا البريطانيين وحد من خطرهم نهائيا . باقامة سوره المشهور على حدوده معها من جهة ، ومن جهة ثانية ، هزم أوفا ايثلبرهت وذبحه بيديه جزاء وفاقا لاتفاقه مع البابوية ضده ، ولقد غضبت البابوية لمصرعه ، ودفنته فى كاتدرائية هيرفورد Hereford واعتبرته « قديسا شهيدا » ٠ انظر :

Roger de Hoveden, I, p. 29 & n. 21 ; cf. also : James, M.R., Two lives of St. Ethelberht, King & Martyer, cf. E.H.R., vol. 32, 1917, p. 392 ; D.S., p. 118 ; C.E., p. 215.

(16) Stenton, op. cit., p. 224.

(17) Blunt, op. cit., p. 49-51, 62 ; Allan J., cf N.C., 1914, p. 7 ff. ; Allen, D.F., cf. B.N.J., vol. 25, III, p. 267-269.

(18) توجد عدة أخطاء في وجه وظهر الدينار تؤكد صحة ما وصلنا اليه عاليه ٠ منها على سبيل المثال في الوجه : كلمة « اله » فى السطر الاول مـن المركز وردت (الهاء) فى شكل حرف (دال) ؛ بينما ورد حرف الدال فى كلمة « له »بالسطر الثالث من المركز على شكل (هاء مربوطة) ٠ أما الظهر ، فقد وردت (الهاء) فى كلمة (الله) بالسطر الثالث من المركز صحيحة مثل الدينار العباسى الذى ضرب أوفا دينار على طرازه ٠ بينما وردت كلمة (وخمسين) فى هامش الظهر خطأ بما لا يتفق ومثيلتها فى الدنانير العباسية ٠ انظر اللوحة المرفقة للدينار ٠

(19) لعلنا نجد في مواقف البابوية المعادية لمثل هذه العبارات الاسلامية ابان الحروب الصليبية فيما بعد عصر أوفا ، ما ينفى تماما الاخذ بالرأى القائل بضرب هذا الدينار لتقديمه للبابوية وفاء للضريبة المقررة على اوفا سنويا ٠ فلقد حدث أن ضرب أمراء طرابلس وصيدا الصليبيين عملات عليها اسم الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم والتاريخ الهجرى فقط دون عبارة التوحيد ٠ فرفضتها البابوية وأصدر البابا انوسنت الرابع (1243 ـ 1254) قرارا بتحريمها

كلية ، وضرب أخرى صليبية الفحوى والمضمون · وهكذا نضيف جديدا يؤكد ما وصلنا اليه بصدد رفض قبول الرأى السابق الذكر ، انظر :

Schulmberger, G., Numismatique de l'Orient Latin, Paris 1878, p. 139 - 140 ; cf. also :

مصطفى حسن الكنانى : العلاقات بين جيزة والشرق الادنى الاسلامى (1171 ـ 1291 م/567 ـ 690 هـ) ، الاسكندرية 1981 م ، ص : 312 ـ 316 والحواشى ·

(20) Blunt, op. cit., p. 51.

(21) Blunt ,op. cit., loc. cit.

(22) لومبار (موريس) : « الاسس النقدية للسيادة الاقتصادية ، الذهب الاسلامى منذ القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى » . انظر المقالة الثانية فى كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة 1961 ، ص : 73 ـ 74 ·

(23) انظر : لومبار : السابق 73 ـ 78 وأيضا :Atiya op. cit., p. 167 - 169

(24) Blunt, op. cit., p. 51.

(25) كان شارلمان العظيم يخشى أوفا « وجيشه الرهيب » ويعمل لهما ألف حساب ، وطالما سعى لمهادنته رغم كراهيته الشديدة له ، ولقد أرسل اليه رسالة جاء فيها : « ··· ان الحفاظ على روابط الصداقة بين أصحاب الجلالة الملوك ، وأصحاب المقامات الرفيعة ، أمر حتمى من أجل كفالة السلم ودوام المحبة بينهم » · انظر :

Letter of Charles the Great to Offa King of Mercia (796 A.D.), cf. E.H.D., vol. I, Doc. N° 197, p. 848 - 849.

(26) Richmond, I.A., Roman Britain, London 1971, p. 180 cf. also : the notes n°° 23 - 24.

(27) انظر حاشية رقم (26) ·

(28) عن قوة علاقات شارلمان وهارون الرشيد · انظر :

Einhard & Notker the Stammerer, Two Lives of Charlemagne, trans. with an Introduction by Lewis Thrope, London 1974, p. 70, 143 - 149.

(29) Stenton, op. cit., p. 223.

(30) اكدت المصادر عقد اتفاق تجارة بين شارلمان وأوفا فى أواخر عصره، بعد أن يئس الاول من التآمر ضد الاخير بتحريض البابوية · انظر :

C.E.D., vol. III, p. 487 ; Letter of Alcuin to Colcu (790 A.D.), cf. E.H.D., vol. I, Doc. 192, p. 840 - 841.

(31) فى يوم خيبر أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الراية الى على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وبعد أن بشره بالفتح ، طالبه بالسير اليهم بأدب وأناة ، ثم بدعوتهم الى الاسلام بعد أن يوضح لهم حقوق ومعنى عبارة التوحيد (لا اله الا الله) · ثم اختتم صلوات الله وسلامه عليه حديثه الى على بقوله : « ··· فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » · وحمر النعم بسكون الميم وضم [illegible] تعنى الابل الحمر ، وهى أنفس الثروات

عند العرب • وفى الحديث ترغيب وحث على الدعوة الى الله ، ليحصل الداعى الى الوحدانية على هذه الفضيله العظيمة • انظر نص الحديث فى صحيح البخارى ، (باب غزوة خيبر) ، طبعة الشعب ، القاهرة (بدون تاريخ) ج 5 ص 171 ؛ صحيح مسلم ، (باب من فضائل على رضى الله عنه) ، طبعة عيسى الحلبى ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ج 2 ، ص 361 ؛ محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، نسخة تحتوى على تعليقات حفيده تحت عنوان (قرة عيون الموحدين فى تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين) ، (حساب الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله) ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ص : 35 ــ 41 والحواشى •

(32) النويرى : نهاية الارب فى فنون الأدب ، وزارة الثقافة والارشاد ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة 1954 ، ج 18 ، ص 157 ــ 158 ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية 1975 ، ص : 28 ــ 30 •

(33) The Laud Chronicle, p. 57 & n. 6 ; The Parker Chronicle, p. 56 ; The Anglo-Saxon Chronicle, cf. E.H.D., vol. I, p. 181 & n. 11, 1 82 ; cf. also : Roger de Hoveden 1, p. 30 ; Roger of Wendover, 1, p. 166 - 167 ; Mettehew of Westminster, 1, p. 383 - 383 ; Simeon of Durham, cf. E.H.D., vol. I, p. 274 ; cf. also : Stenton, op. cit., p. 224.

(34) Roger of Wendover, 1, p. 166-167 ; also : Matthew of Westiminster, 1, p. 382 - 383.

(35) لم أجد تعريفا لها فى أى من المصادر أو المراجع المتنية ؛ ولعلها كانت بلدة قديمه أقامها أوفا ، وعرفت بهذا الاسم نسبه اليه ثم اندثرت على مر السنين ، أو لعل البابوية ورجال الكنيسة قد طمسوا معالمها وغيروا اسمها بآخر حتى يزول كل أثر للملك أوفا قد يذكره الناس به •

(36) بلدة صغيرة تقع فى مقاطعه بيدفورد Bedfordshire على بعد خمسة وأربعين ميلا شمال غرب لندن • انظر : P.E.P., p. 85

(37) يقع فى مقاطعة بيدفورد ، ويعرف اليوم باسم نهر أويس Ouse انظر : P.E.P., op. cit., loc. cit.

(38) Stenton, op. cit., p. 224.

(39) أشارت المراجع الى أن الانجلوساكسون رغم دمويتهم ، فاليهم تعزى نهضة أوروبا فى شتى نواحى العلوم والآداب • فى هذا الصدد ، وللمزيد عن حضارة الانجلوساكسون وتأثيرهم فى الحضارة الاوروبية واحرازهم قصب السبق على أوروبا فى هذا المضمار ، انظر :

Chancellor, V.E., Medieval & Tudor Britain, London, 1976, p. 228 - 42, cf. also :

نظير حسن سعداوى : السابق ، ص 29 وما بعدها ؛ رواس (أ. ل.) : التاريخ الانجليزى ، نقله الى العربية د• محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، 1946 ص 1 وما بعدها •